مفهوم النقد وخصائصه عند عبد السلام المسدي

أ. بن فرحات إدريس
أ.د.العيد جلولي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)

Ressemé :

Cet article traite par l'analyse, la discussion et la conclusion le concept de la critique, et la clarification de certaines de ses caractères chez le critique et linguiste abdessalem EL MESSADDI que ses contributions et thèses scientifiques, critiques et intellectuelles occupent une haute place sur la carte de la culture et de la pensée arabes, grâce à ce qui est prévu à la critique qu' il a dans son livre : « la littérature et le discoures critique » comme un échantillon de ses plusieurs livres de littérature et critique.

ملخص:

يتناول المقال بالتحليل والمناقشة ثم الاستنتاج مفهوم النقد، وبيان بعض خصائصه عند الناقد والألسني عبد السلام المسدي، الذي تشغل إسهاماته وأطروحاته العلمية والنقدية والفكرية مكانة بارزة على خارطة الثقافة والفكر العربيين، وذلك من خلال مايعتبر مُتصوّرا للنقد عنده في كتابه: "الأدب وخطاب النقد" كعيّنة من كتبه الأدبية والنقدية المتعدّدة.

الموضوع:

يتناول المقال بالتحليل والمناقشة ثم الاستنتاج مفهوم النقد وبيان بعض من خصائصه عند الناقد والألسني عبد السلام المسدي، الذي تشغل إسهاماته وأطروحاته العلمية والنقدية والفكرية مكانة بارزة على خارطة الثقافة والفكر العربيين، فضلا عمّا يشغله حضوره في فعاليات الثقافة العربية، ومتابعاته الفكرية التحليلية والنقدية المتميّزة والمجسّدة في كتبه العديدة التي أغنى بها المكتبة النقدية والمصطلحية العربية، والتي منها: كتاب الأدب وخطاب النقد، الذي سنأخذه كعينة، نظرا لأهمية الأفكار النقدية المطروحة فيه، ولكثرة الأنساق والمناويل التي استخدم فيها مصطلح النقد.

إنّ موضوعنا هذا يقوم على الإجابة عن سؤالين أساسيين هما: هل للنقد مفهوم خاص عند عبد السلام المسدي في كتابه الأدب وخطاب النقد؟، وماهي خصائص النقد عنده من خلال ذات الكتاب؟ ويتفرّع عن ذلك هذا التساؤل أيضا: مامدى اتفاق أو اختلاف المسدي مع غيره من النقاد فيما ذهب إليه؟

إنّ العرف المنهجي يفرض علينا قبل الخوض في الإجابة عن الأسئلة المطروحة أن نرجع إلى ما ورد من مفهوم أو مفاهيم للنقد في المعاجم والاصطلاح؛ ثم نستبين ما يطرحه المسدي بهذا الخصوص، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي وآلية المقارنة حيثما استدعى الأمر ذلك.

أ)مفهوم النقد في المعاجم: من المفيد جدّا أن نبدأ بذلك التساؤل النبيه الذي انطلق منه عبد الملك مرتاض في كتابه(في نظرية النقد)؛ وهو: "هل للنقد من ماهية؟"[1]، من أجل أن يبرز الطابع الهجين للنقد، بحكم انتمائه إلى مجالات متعدّدة؛ فهي بمثابة جواهر يأخذ منها، بل جوهر خاص"تستميز جوهريته من جملة الجواهر الأخرى دون أن يكون هو بالضرورة مجرّد صورة لها. فكأنّه المجال المعرفي الهجين عند هذه الجواهر كلّها"[2]، ولهذا الاعتبار واعتبارات أخرى، يمكننا القول أنه يصعب تحديد ماهية للنقد الأدبي تحديدا دقيقا، وهذا مبدئيا؛ فهو مادّة رجراجة، لكننا سنحاول ذلك، متوسّلين بما ورد في عدد من المعاجم العربية كلسان العرب لابن منظور، وأساس البلاغة للزمخشري، والصّحاح للجوهري.

وعليه لابدّ من وقفة هنا عند الدلالة اللغوية لكلمة "نقد"؛ فهي بلا شكّ مهمّة للتعرّف على المعنى الحقيقي للكلمة، ومحاولة أيضا لإيجاد المشترك في الدلالة العربية، والعمل على إبراز أوجه الالتقاء بينها.

فلقد جاء في لسان العرب أنّ النقد هو:"تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها؛... والنقد: تمييز الدراهم وإعطاؤها انسانا؛... ونقدته الدراهم، ونقدت له الدراهم أي أعطيته، فانتقدها أي قبضها"[3]،فهو بهذا التعريف يمدّنا بثلاث محدّدات أساسية لعملية النقد، وهي: التمييز، الإعطاء والقبض.

وبتصفّحنا لمعجم أساس البلاغة للزمخشري نجد فيه أيضا: "نقده الثمن، ونقده له فانتقده، ونقد النقاد الدراهم: ميّز جيّدها من رديئها..."[4]، إضافة إلى التمييز نستنبط من النص كذلك معنى عطاء الثمن، فقبضُه.

والشيء ذاته نجده في الصّحاح؛ حيث يقول الجوهري: "نقدته الدراهم، ونقدت له الدراهم، أي أعطيته فانتقدها، أي قبضها. ونقدت الدراهم وانتقدتها، إذا أخرجت منها الزيف..."[5]. ويضيف إلى ذلك: "وناقدت فلانا، إذا ناقشته في الأمر"[6]، مما يضفي على اللفظة صبغة حوارية، أطرافها: المُنَاقِشُ والمُنَاقَشُ والأمر المُنَاقَشُ فيه.

وإذا أمعنّا النّظر في المحدّدات الثلاثة الآنفة الذكر، أي: التمييز، الإعطاء والقبض، والتي وقع التطابق فيها في المعاجم العربية الثلاثة، نجدها لا تبتعد كثيرا عن معنى الحوارية الذي أضافه الجوهري؛ فالثلاثية: تمييز، إعطاء وقبض، تستدعي ثلاثية أخرى هي: طرفي المناقشة والأمر المُتَنَاقَشُ فيه، ومن ثمّة أمكننا تسجيل هذا المُعطَى كوجه أول للاتفاق والتطابق بين المعاجم العربية من هذه الزاوية.

أمّا الوجه الثاني للاتفاق والتطابق، فهو التقاؤها(المعاجم العربية) في ربطها دلالة لفظة "نقد" بتمييز الدراهم، وبذلك فهي تقرن بين وظيفة النقد بوظيفة الصّيرفي.

ب)مفهوم النقد في الاصطلاح: في إطار المحاولات المتكرّرة لإيجاد مفهوم اصطلاحي للنقد، لا مندوحة لنا في هذا المقام من الإشارة إلى الطبيعة الحركية للنقد، كما يؤكد محمد زكي العشماوي "فليس بين العلوم الإنسانية علم هو أسرع في التطور، وأمضى في الحركة، وأبعد عن الثبات والجمود من النقد الأدبي"[7]، وهذا ما يجعل الإمساك بماهيته من الأمور الصّعبة.

وترجع هذه الطبيعة الحركية للنقد إلى: "ارتباطه بالأدب الذي هو أحد الفنون التي لا تعرف الثبات و لا الجمود"[8]، ذلك أنّ "الأدب في واحدة من أجمل تعريفاته المتداولة، أنّه في جوهره نقد للحياة، وليس مجرد تمثيل لها، وبالتالي فإنّ نقد الأدب لا يستطيع أن يقوم بوظيفته الفكرية، إلاّ عبر نقد الحياة"[9]، بتنوع علاقاتها، وعلومها وفنونها، ولا يسع النقد إذّاك إلاّ أن يكون ذا طبيعة هجينة.

ويذهب كثير من النقاد والدارسين إلى التأكيد على صعوبة الإمساك بمصطلح النقد، وبرهان ذلك وجود زخم كبير للدراسات النقدية في هذا المجال، في محاولة لتحديد تعريف جامع لمصطلح النقد، ولكنها في النهاية لا تتفق على تعريف محدّد، "بيد أنّ مصطلح النقد ملتبس! فهو حينا يتضمّن الرفض عبر إدانة ما: حكم سلبي... وحينا آخر يشير- وهذا المعنى الأساسي له- إلى معرفة إيجابية للحدود"[10]، وبالتالي "فهو أولا وأخيرا يمارس موضعة يسبغها على نفسه بنفسه،..."[11].

ونحن نسعى لاستنطاق المفاهيم المختلفة، في محاولة متواضعة لترك مفهوم اصطلاحي معيّن، ليس بالضرورة إبداعا أو فتحا جديدا، بل محاولة لربط علاقات ومقاربة أفكار معيّنة، ليس إلاّ. نبدأ من تلكم الدلالة المعجمية التي خلصنا إليها سلفا، والتي أفادت ارتباط النقد بتمييز الدراهم كضلع من أضلاع الثلاثية التي أشرنا إليها أيضا، وبالتالي فإنّ نقطة الابتداء هاهنا هي ملاحظة أنّ مصطلح النقد لا يتحدد إلاّ من خلال وظيفته كما هو الحال في وظيفة الصّيرفي.

إذن حريّ بنا العودة إلى أول نص في مظانّنا حدّد هذه الوظيفة، وهو النص الذي أورده ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء: "قال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك، فقال له(أي خلف): إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصرّاف إنه رديء! هل ينفعك استحسانك له؟ "[12]، وبشيء من المنطق نفهم أنه لا ينفع الرجل استحسانه للدرهم، طالما حكم الصرّاف برداءته، وكذلك الشّأن ينسحب على القصيدة الشعرية أو أي أثر فني آخر؛ حيث لا ينفع استحسانها إذا ما قرّر الناقد رداءتها. ومن ثمّة ومن خلال نص ابن سلام الجمحي هذا نستشف تأكيده على: "خطر النقد، وخطر الناقد، وأنّ النقد ضرب من المهارة العملية لا تتاح لغير المتخصّصين، ومن ثمّ كان النقد علما، وكان الناقد عالما..."[13].

وبما أن وظيفة النقد هي التي تحدّد ماهيته، بات من الضروري التوقف عندها لتسليط بعض الضوء عليها، مستحضرين تلك الوظيفة التي وضعها ابن سلام في النص الذي أوردناه؛ حيث يمكننا تسجيل الملاحظة الآتية، وهي أنّ انتفاء حدوث مقابلة أو تلاقي بين المُنتَج(النص) والناقد المؤهل لإصدار الأحكام المؤيدة أو المضادة لهذا المنتج؛ فإنه لا مجال للحديث عن ماهية للنقد، لأن المنتج هنا هو بمثابة المثير والحكم بمثابة الاستجابة للمثير.

ومن ثمّة فالاستجابة في صورتها النهائية، هي النقد، وبالتالي فالنقد "يسعى إلى عقلنة المثير بحسب رؤيته سواء أكانت عقلنته للمثير تنطلق من داخل المثير(من خلال نقد الواقع)، أم من خارجه (من خلال نقد الفكرة)، فهو بالمحصّلة مواجهة لمثير معلن أو مراوغ، مباشر أو غير مباشر، فهو يسعى في منهجه إلى تعرية المثير، إما لإظهار مفاتنه ومحاسنه، أو لإظهار قبحه وخطله، آملا بذلك في أن يمارس فاعلية ما، تتلخّص في ترغيب المتأثّر(في) أو(عن) المثير... و ربما في بعضه وعن بعضه الآخر"[14]، وفي خضم ذلك كله يتماهى النقد ويتكوّن.

لعنا نفهم من ذلك أنّ "النقد ليس عملية اعتباطية، تنشأ نشأة ذاتية غامضة، إنما هو وسيط بين المؤلف والجمهور، تربط بينهما لحمة النتاج الفكري الأصيل"[15]. وليس من مهرب إذّاك من التأكيد على قضية هامة، تتمثّل في أنّ: "كل نقد مسوق في نهاية مطافه إلى إبداء رأيه في قيمة المؤلفات؛ إذ أنّ خاصّته هي أن يعتبر الأدب كميدان قيم..."[16]، ذلك أنّ أيّة ممارسة لا تحدّد لها غاية هي عمل لا طائل منه، هذا رأي.

ورأي ثان يعتبر أنّ وظيفة النقد، والتي هي أساس تحديد ماهيّته، كما أسلفنا من قبل، تتجلّى في العلاقة التي تقوم بين نص ثري معطاء وقارئ نشط، "وهنا يكون الذوق الخيط الواصل بين النص والقارئ، فينشأ في مرحلة أولية نقد حدسي (أي ذوقي)"[17]. فالنقد مع سعيه لأن يكون موضوعيا، لا يستطيع أن ينفصل عن الذات أو يتنصّل منها، وذلك لمدى ارتباطه الشديد بالذّات الإنسانية.

إذن ومما سبق يستقر عندنا أنّ النقد لا يستبعد تداخل الذات والموضوع فيه، غير أنّ هذا لا يحجبنا عن بلورة تعريف يبرز الخاصيّة الذوقية للنقد إن جاز أن نسميها كذلك. يقول محمد مندور: "النقد في أدق معانيه هو فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة وهو روح كل دراسة أدبية إذا صحّ أنّ الأدب هو كل المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين"[18]، و التي من شأنها تحفيزهم "تثير لديهم بفضل خصائص صياغتها صورا خيالية أو انفعالات شعورية أو إحساسات فنيّة"[19]، وفي ذات الاتجاه يقول شوقي ضيف: "النقد تحليل القطع الأدبية وتقدير مالها من قيمة فنية...، فهو فن مشتق من غيره، أو متوقف على غيره"[20]. كما جاء أيضا في معجم المصطلحات العربية أنّ النقد"هو فن تقويم الأعمال الأدبية والفنيّة، وتحليلها تحليلا قائما على أساس علمي، وهو الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصادرها، وصحّة نصّها، وإنشاؤها، وصفاتها وتاريخها"[21]، هذا تعريف للنقد.

وتعريف آخر للنقد يتمحور حول سعيه(أي النقد) لأن يكون علما موضوعيّا، يستعين بالعلوم التجريبية والإنسانية المختلفة، ويتضافر معها دون أن يتماهى فيها ليكون هي، بل ليكون في مفهومه الحديث: "استعمال منظم للوسائل غير

الأدبية، ولضروب المعرفة –غير الأدبية أيضا- في سبيل الحصول على بصيرة نافذة في الأدب"[22]، هذه البصيرة لم تعد كما في الماضي ذات طبيعة سلطوية، وإنما ذات طبيعة توجيهية.

ومنه فإن صعوبة تعريف للنقد تكمن في تلك الثنائية المتداخلة في النقد؛ حيث تتجاذبه ثنائية العقل والخيال(أي الذات والموضوع)[23]، فتذوب فيه الذات مشكلة موضوعا، ويتماهى الموضوع بذوبانه مع الذات، فتصير الذات موضوعا، والموضوع ذاتا، وهنا يكمن سر الصعوبة في تحديد ماهية محدّدة المعالم للنقد. وكن المقابلة الطريفة بين الصيرفي والناقد كما عرضها ابن سلام، ساعدت كثيرا في تتبع مصطلح النقد من خلال الوظيفة التي يقوم بها.

ومجمل القول أن النقد في مجال الأدب يلقي بظلال عموم الفائدة على جميع أطراف العملية النقدية من بدايتها إلى نهايتها؛ ذلك أنّه"يفيد الأدباء المنشئين، ويفيد القرّاء المفيدين، ويفيد الأدب نفسه"[24].

ج)مفهوم النقد عند عبد السلام المسدي: يعتبر عبد السلام المسدي من أهم روّاد النقد العربي الحديث إلى جانب عدد كبير من النقاد على الصعيد العربي، وقد تميّز بدراسته للثقافة العربية الكلاسيكية بمناهج نقدية أكثر حداثة وتجريبا وتأصيلا، بسبب انفتاحه على الأدب الغربي ومناهجه النقدية، وإطّلاعه العميق على التراث العربي القديم.

ومما يحسب للمسدّي أيضا، ريادته في تجسير المسافة بين النقد العربي والدراسات الألسنية المعاصرة، حيث عمل طيلة سنوات في تقصّي المناهج ذات الرؤية الشمولية وتطويعها لتكون مبسّطة بين أيدي الدارسين والقرّاء، مستفيدا من السياقات التراثية التي تتصالح مع النص وتتواصل معه.

فهو بهذا يعدّ واحدا من النقاد الذين ترسّخت أسماؤهم في حركة النقد الأدبي في العالم العربي، وعلى مدار مسيرته الطويلة قدّم عطاء وافرا أسهم في ثراء الحركة النقدية العربية.

وكتابه الأدب وخطاب النقد الذي اخترناه كعينة من كتبه الكثيرة في مجال الأدب والنقد، والذي سنستقرئ منه مفهومه للنقد، وخصائص النقد أيضا كما يراها هو، يعطينا سانحة لنذكر بأنّ فصوله الإثني عشر تضمّنت عديد القضايا النقدية المطروحة بشكل كثيف في نقدنا العربي المعاصر، كقضية اللسانيات والنقد، الوظيفة التواصلية للنقد، الحداثة النقدية والتجديد النقدي، الفاعلية النقدية، التنافس في مجال النقد والغموض النقدي وغيرها من القضايا...، ممّا يسمح لنا بالوقوف على كمّ لابأس به من السياقات التي تبرز لنا المحدّدات التي انبنى عليها متصوّرا للنقد عنده، ومنها أنّ:

1. النقد هو ثمر حفر الباطن في الثقافة والمعرفة: يقول: "إنّ النقد الأدبي فيما نتصوّره وبفضل ما نرصده من ظواهر اللغة؛ ثم في ضوء استشعار معرفي هو ثمر حفر الباطن في الثقافة والمعرفة، قادر على أن يغدو اللسانيات ويتحداها في نفس الوقت"[25]، وهو هنا يلتقي مع معنى الفحص والتمحيص والتدقيق الذي ورد في الكثير من الكتابات النقدية.
2. النقد خطاب: يقول في هذا الصّدد: "فالنقد خطاب: وكل خطاب يتحدد بأطراف التخاطب فيه وأكثرها إيقاعا المُخَاطِبُ الفاعل للخطاب والمُخَاطَبُ المفعول له الخطاب ثم مضمون الخطاب"[26]، فالملاحظ أنّ هذا المحدّد يلتقي تماما مع الثلاثية الحوارية(المُنَاقِشُ، المُنَاقَشُ والأمر المُنَاقَشُ فيه) التي أشار إليها الجوهري في الصحاح، كما سبق وأن ذكرنا ذلك.
3. النقد خطاب واصف للأدب: فهو هنا يشدّد على إحدى وظائف النقد التي تتأسّس عليها ماهيته؛ إذ يقول: "النقد وهو الخطاب الواصف للأدب بصرف النظر عن مستويات الوصف وتوظيفاته"[27]، ثم يؤكد على الوشيجة المتلازمة بين النقد والأدب، فيقول: "فالنقد موضوعه الأدب، والأدب مادّته اللغة... "[28]، وهو ذات الكلام الذي ورد عند شوقي ضيف في كتابه النقد؛ حيث يقول: "الأدب موضوعه الطبيعة والحياة الإنسانية، والنقد موضوعه الأدب"[29].
4. النقد معرفة اللغة: كون المسدي صاحب مرجعية لسانية، لم يفته أن يلفت الانتباه إلى ذلك قائلا: "النقد الذي هو معرفة اللغة بوصفها مؤسسة إبداعية"[30]، في إشارة إلى ما يسمى بالنقد اللغوي أو اللساني، الذي اكتسب في

عصرنا هذا أبعادا جديدة، تحتاج منا إلى وقفة طويلة لو كنا بصدد الكلام على مدارس النقد الأدبي الحديث؛ بيد أنّ "النقد معرفة، وهو معرفة من طبيعة خاصّة: إذا نظرت إليه من زاوية الفن قلت إنّه علم الفن القولي، وإذا نظرت إليه من زاوية اللغة قلت إنّه علم القول الفني"[31]، ونستعير هنا تعليقا للناقد الفرنسي بيير ماشري p.machery الذي يقول: "إن النقد الأدبي يجعل من الآثار مجالا لبحوثه، وهذه الأدبية ترتبط ارتباطا وثيقا باللغة، حتى وإن لم تكن تلك الآثار لغة في حد ذاتها"[32].

5. النقد هو السكن داخل بيت الأدب: تماما كما ذهب إليه عبد الملك مرتاض في سياق الحديث عن تلك الثنائية المتداخلة في النقد، ثنائية الذات والموضوع؛ حيث تتصارعانه، فتذوب فيه الذات مشكلة موضوعا، ويتماهى الموضوع بذوبانه مع الذات، نجد المسدي يقول: "إنّ النقد هو أن تكون صاحب حق شرعي في أن تسكن داخل بيت الأدب، فتختار أن تخرج منه لتقيم لنفسك بيتا يحاذيه فيشارفه وتطل منه عليه دافعا به إلى موالجته..."[33].

د)خصائص النقد عند عبد السلام المسدي: وخصائص النقد عند المسدي في كتابه الأدب وخطاب النقد يمكن تصنيفها وعرضها كما يأتي:

1. النقد الأدبي صرح تشيّده مؤسسة الأدب: فلأن النقد موضوعه الأدب كما سبق وأسلفنا، يقول المسدي: "...النقد الأدبي هو صرح تشيّده مؤسسة الأدب وليس النقد مؤسسة صرحها الأدب"[34]، ومعنى هذا "أنّ النقد الأدبي نشأ في أحضان الأعمال الأدبية، فهي موضوعه الذي يعمل فيه ويقع عليه حكمه، ومنها يستمد قوانينه ومقاييسه، باعتبارها خصائص وجدت في هذه الأعمال فأكسبتها القوة والجمال، وجعلتها قادرة على التأثير والخلود"[35].
2. المطاوعة إلى المحاورة: فالنقد ليس عصيّا بل مرنا متكيّفا، يقول المسدي: "والنقد مطواع إلى المحاورة وإن نقلناه من لغته إلى لغة غير لغته"[36].
3. دخول النقد حلبة المخاض المعرفي في العصر الحديث: وبدخوله فقد كفّ عن ارتكانه في زاوية المعارف التي ينعتها المسدي بأنها إلى الترف الفكري والبذخ النفسي أقرب منها إلى العلم الضروري. يقول: "فمما هو مسلم به – وقد أسلفناه – أنّ النقد الأدبي هو في صميم المخاض المعرفي الجديد بكل تغيراته وتقلباته، بل هو أحيانا قلب رحاها في ما يتصل بالمعارف الإنسانية"[37]؛ فكقاعدة تأسيسية، إنّ النقد الأدبي كان دوما مترافقا مع المعارف الأخرى، سواء منها الدينية أو الفلسفية أو التاريخية. ومن ثمّة فإنّه "في العصر الحديث قد أصبح متواشجا في الأعماق مع حقول معرفية هي على غاية من الدقّة، بل ولبعضها – وهي من العلوم الإنسانية – تجليات تلامس ما لبعض العلوم الصحيحة من تشكيل صوري في الضبّط والصياغة"[38].
4. النقد يتّخذ من الخاص سلّما إلى الشامل الأعم: في سياق التفريق بين النقد والأدب يحرص المسدي في كل مرّة على بيان أوجه التمايز بينهما؛ حيث يقول: "والأدب مشدود إلى خصوصيّة لغته وإن حلّق في سماء الإنسانية، أما النقد فإنّه يتّخذ من الخاص سلما يعرج منه نحو الشامل الأعم"[39].
5. أحادية النقد وتعددية الأدب: على غرار ما سبق ذكره، يواصل المسدي قائلا في هذا الشأن: "وبناء على ذلك بوسعنا أن نقول في غير مجازفة إنّ النقد واحد والأدب متعدّد"[40].
6. علميّة النقد: إنّ للنقد طموحا في أن يكون علما برأي المسدي، يقول: "إنّ النقد معرفة ويطمع أن يكون علما، ولكنه علم بغيره، وليس علما بنفسه"[41]، ويذكر في موضع آخر: "ذلك أنّ الأدب – وهو موضوع علم النقد – إبداع يقوم بذاته، بينما النقد علم يقوم بغيره، والغيرية هنا غيريتان، غيريّة الموضوع وغيريّة المنهج"[42]. وتعضيدا لما ذهب إليه المسدي نضيف رأي الدكتور عاطف العراقي الذي يقول: "سوف تذهبون معي إلى القول بأن النقد يعدّ علما له أسسه المشتركة، وليس فنّا له أبعاده الذاتية"[43]، وهذا محمد مندور أيضا في ذات السياق يقول: "الذي يمكن أن يصبح علما هو منهج التحليل والدراسة والتمييز لا النقد ذاته"[44]، ويعترض بشدّة، بل ويحاربها بكل قواه كما قال،

وهي من مخلفات الماضي، من مخلفات القرن التاسع عشر في أوروبا، ومن مخلفات الأعجمي قدامة في الأدب العربي، ويعني بها تطبيق القوانين التي اهتدت إليها العلوم الأخرى على الأدب ونقد الأدب[45].

7. تطور النقد: ويتعلق الأمر هنا بمسألتين هامتين. أولاهما قوله: "إنّ أول مانريد أن نصدح به هو أنّ النقد الأدبي في عصرنا الحديث قد تطور كما لم يسبق له أن تطور من قبل"[46]، وثانيهما قوله: "والذي نريد أن نصدح به تاليا هو أن النقد الأدبي مدين في جل ما يعرفه في أيامنا من نماء وازدهار إلى المعرفة اللغوية الحديثة، فهي القادح لوقود محركه وهي المفجر لثورته الزكية اليافعة"[47].
8. تعذّر الاستقرار في النقد الأدبي: ولتحصيل الحاصل عقب ذكر خاصية تطور النقد يقول المسدي: "... لهذه الأسباب غدا متعذرا ما كنا نعهده من استقرار في النقد الأدبي؛ فمناهجه تتطور، وتتطور مفاهيمه النظرية، وكذا إجراءاته، بل تأتي حركة التغيير على مقولاته الأساسية فتصيّرها غير ما كانت عليه، والفارق يهون حينا ويعظم أحيانا"[48].
9. صلاحية الاختراق: وتتأتّى للنقد هذه الخصّيصة انطلاقا من التأمّل في بنية خطاب العلوم، يقول المسدي: "ذلك أنّ النقد يتمتّع بصلاحية الاختراق شأنه شأن العلم اللغوي، فكلاهما قادر على أن يلج إلى كل العلوم الأخرى من خلال التأمّل في بنية خطاباتها"[49]
10. النقد حقيقة بذاته: يميز المسدي بين النقد والناقد كونه حقيقة بذاته، بينما الناقد ليس كذلك. يقول: "ربما يكون في حكم المقطوع به أنّ النقد حقيقة بذاته، بينما النقاد حقيقة بغير ذواتهم، فالنقد – شأنه شأن كل معرفة مصدرها العقل – ذو طبيعة محايثة، وأما الناقد فهو حقيقة بما ينجزه"[50].

وزبدة القول إذن فإنّ المسدي – بالإضافة إلى المفاهيم التقليدية للنقد- يحاول ببعض تلك المحدّدات والخصائص التي يسندها للنقد أن يقدّم متصوّره للنقد بمفاهيم أرحب وأشمل، خاصة حين يتعلّق الأمر بكل ماله علاقة بالمجال اللغوي والعلوم اللسانية، ربما راجع لاعتنائه بالدرس اللساني وتأثره بمجالات ثقافية ومعرفية متعددة؛ وبالتالي فإن النقد عنده هو ثمر حفر الباطن في الثقافة والمعرفة، وأنّه خطاب يتحدّد بأطراف التخاطب فيه، وخطاب واصف للأدب، وهو معرفة اللغة بوصفها مؤسسة إبداعية، كما هو السكن داخل بيت الأدب ليكون صرحا تشيّده، ويكسبه صفة المطاوعة إلى المحاورة، فيتّخذ من الخاص سلّما إلى الشامل الأعمّ، والدخول إلى حلبة المخاض المعرفي والتأكيد على تطوّره في العصر الحديث، كما لم يسبق له أن تطور من قبل، شأنه شأن العلم اللغوي، وأيضا طموحه في أن يكون علما فوق كونه معرفة، مكتسبا ذلك من صلاحية الاختراق للمعارف الأخرى.

الهوامش والإحالات:

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، دط، 2002م، ص75.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، مج1، مادة (نقد)، ص425.

[4] الزمخشري، أساس البلاغة، قاموس عربي عربي، راجعه وقدم له: أ.إبراهيم قلاتي، دار الهدي، عين مليلة، الجزائر، 1998م، ص687.

[5] الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم: عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1974م، مج2، ص599.

[6] الجوهري، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[7] محمد زكي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص136.

[8] نفسه، الصفحة نفسها.

[9] محمد الدميني، القافلة تحاور الدكتور صلاح فضل، مجلة القافلة، شركة أرامكو السعودية، السعودية، ع12، مج44، ذو الحجة 1416ه، أفريل/ماي 1996م، ص8.
[10] بيار ماشري، مفاهيم أولية، ترجمة: سامي سويدان، ص21، ضمن مقال: الخطاب والنقد بين الوصاية والتواصل، عبد الواحد علواني، مجلة الكلمة، مؤسسة الفلاح، بيروت، لبنان، ع22، السنة السادسة، 1420ه/1999م، ص85.
[11] عبد الواحد علواني، "مقال"، الخطاب والنقد بين الوصاية والتواصل، مرجع سابق، ص85.
[12] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص17، ضمن كتاب: النقد المهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، محمد مندور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، دط، أفريل1996م، ص18.
[13] فتحي أحمد عامر، من قضايا التراث العربي، دراسة نصية نقدية تحليلية، النقد والناقد، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1985م، ص17.
[14] عبد الواحد علواني، "مقال"، الخطاب والنقد بين الوصاية والتواصل، مرجع سابق ص85.
[15]منجي الشمّلي، الفكر والأدب في ضوء التنظير والنقد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، 1985م، ص10.
[16] كارلوني وفيللو، تطور النقد الأدبي في العصر الحديث، ترجمة: جورج سعد يونس، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص23.
[17] عبد الحق الأبيض، قضايا النظرية والمنهج في الخطاب النقدي، ندوة الآداب، مجلة الآداب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ع3و4، آذار(مارس)، نيسان(أبريل)، 1998م، ص86.
[18] ينظر: محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، مرجع سابق، ص14.
[19] ج.لانسون، منهج البحث في تاريخ الآداب، ص21، ضمن كتاب: النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، ص14.
[20] ينظر: شوقي ضيف، النقد، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1985م، ص9.
[21] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص417.
[22] ينظر: عبد الواحد علواني، مرجع سابق، ص85.
[23] ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، مرجع سابق ص75.
[24] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، ط10، 1994م، ص171.
[25] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، مارس2004م، ص91.
[26] نفسه، ص36.
[27] نفسه، ص99.
[28] نفسه، ص5.
[29] شوقي ضيف، النقد، مرجع سابق، ص9
[30] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، مرجع سابق، ص110.
[31] عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات بن عبد الله للنشر، تونس، دط، 1994م، ص19.
[32] سمير سعيد حجازي، قضايا النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1428ه/2007م، ص27.
[33] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، مرجع سابق، ص295.
[34] نفسه، ص27.
[35] ختير عبد ربي، النقد الأدبي في العصر الإسلامي والأموي، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، دت، ص21.
[36] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، مرجع سابق، ص27.
[37] نفسه، ص46.
[38] عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مرجع سابق، ص22.
[39] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، مرجع سابق، ص28.
[40] نفسه، ص47.

[41] نفسه، ص295.

[42] نفسه، ص232.

[43] عاطف العراقي، ثورة النقد في عالم الأدب والسياسة، القسم الأول: القضايا والمشكلات من منظور الثورة النقدية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، طبعة سنة2000م، ص12.

[44] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، مرجع سابق، ص49.

[45] ينظر: محمد مندور، في الميزان الجديد، نشر وتوزيع، بن عبد الله، تونس، ط1، 1988م، ص192.

[46] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، مرجع سابق، ص8.

[47] نفسه، ص9.

[48] نفسه، ص47.

[49] نفسه، ص296.

[50] نفسه، ص351.